بذاته والدور المميَّز للشعب الفلسطيني كانت توصف، في حدّ ذاتها، بالاقليمية، وفي هذا ما يكفي حتى تحوم حولها الشبهات. ويعود الفضل لـ «فتح» في انها طرحت، منذ نهاية الخمسينات، ركائز رؤيا جديدة واختيار آخر، هو النضال المستقل للشعب الفلسطيني الذي عاد وأوصل، بعد ١٩٦٧، الى فكرة حق تقرير المصير وقيام الدولة الفلسطينية.

والثانية: هي مسألة العلاقة بين الفلسطينيين و«المستوطنين اليهود». وهنا أيضاً فان حركة فتح، من خلال تحديدها للدولة الديمقراطية التي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود، إنما تقطع الصلة مع النظرة الفلسطينية والعربية التقليدية وتُوجِد تمييزاً بالغ الأهمية بين اليهود والصهيونيين. والمنظمة تهيب باليهود أن ينضموا الى الكفاح المسلح، وتقبل بأن تبقى أغلبية اليهود في فلسطين. على ان ذلك لا يجري من غير تناقضات داخلية، ومن غير أن يعارضه «المحاربون القدامى» في منظمة التحرير، شأنهم شأن المنظمات القومية العربية. غير أن إقراره من جانب منظمة التحرير الفلسطينية بعد نقاش طويل كان بمثابة مرحلة لا غنى عنها في التطور السياسي للمقاومة الفلسطينية مما يمهد، في نظرنا، لاعتماد البرنامج المرحلي والدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة، في العام ١٩٧٤. وهو أيضاً شرط ضروري للبحث الأكثر عمقاً في الواقع الإسرائيلي وتناقضاته، وفي القوى التقدمية المتواجدة بإطاره.

□ □ □

والبحث الذي نحن بصدده يمتد من العام ١٩٦٨، وهو التاريخ الذي رفعت فيه حركة فتح للمرة الأولى شعار الدولة الديمقراطية، وصولا الى العام ١٩٧١ والدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني. أما اختيار هذا التاريخ الأخير فيعود إلى سببين: الأول، هو أن المجلس الوطني، في دورته الثامنة، التي شاركت فيها المنظمات الفلسطينية كلها (ولو بصورة رمزية في ما يتعلق بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) قد أقر هذا الشعار. والسبب الثاني، هو أنه بعد هزيمة ايلول (سبتمبر) الأسود ١٩٧٠ شرعت المقاومة الفلسطينية في اجتياز عوالم صحراء قاحلة. وأخذت تأفل المناقشات المتعلقة بمستقبل فلسطين، وما لبثت القوى الأساسية ان انخرطت في النضال ضد كل مشروع يهدف إلى خلق كيان فلسطيني (دولة في الضفة الغربية، أو مشروع المملكة العربية المتحدة، أو ما إلى ذلك). هذا النضال وما ينتج عنه من تفاعلات سيكون موضوع دراسة لاحقة لنا.

وقبل أن نتفحص النقاش، كما جرى داخل منظمة التحرير الفلسطينية، نرى انه لا بد من التذكير بصورة مقتضبة، بالظروف التي نما فيها النقاش وتطوّر. وهذا يتناول، في آن واحد، موازين القوى الداخلية في منظمة التحرير وفي منظمات المقاومة، وحياة المقاومة خلال هذه الحقبة القصيرة.

□ □ □